

دلالات مصطلح الكيد في القرآن الكريم

(مجلة جامعة النجاح. فلسطين - موافقة بتاريخ 2017/3/13)

إعداد

د. عودة عبد عودة عبد الله¹

الأستاذ زهران عمر زهران²

(¹) أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
(²) باحث في الدراسات القرآنية (ماجستير تفسير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين)

دلالات مصطلح الكيد في القرآن الكريم

الملخص

يقوم هذا البحث على تتبع الآيات القرآنية التي أوردت لفظ الكيد بمشتقاته، وفق منهجية التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، وذلك بغرض فهم هذا المصطلح، والوقوف على المعاني والدلالات المتعلقة به في القرآن الكريم.

وقد تبين من خلال تتبع هذا المصطلح في القرآن الكريم أن هذا اللفظ مشترك بين أهل الحق وبين أهل الباطل، فأهل الباطل يكيّدون بالشر، وأهل الحق يكيّدون بالخير، ولكن وروده في جانب الشر أكثر وأشهر.

ومن أهم القيم المستفادة من دراسة مصطلح الكيد في القرآن الكريم: بيان قوة كيد الله تعالى وضعف كيد الشيطان، والبشارة للمؤمنين بضعف كيد الكافرين، وإثبات عصمة الأنبياء من تعمد اقتراف الكبائر، والدلالة على مشروعية الكيد في جانب الخير دون إلحاق الضرر بالآخرين.

The concept of Plotting in the Holy Qur'an

Abstract

This research keeps track of the Quranic verses, which reported the various derivatives of the term plotting according to the objective interpretation methodology of the Quranic term, in order to understand this term and stand on its related meanings and connotations in the Quran. It was found that this term in the Qur'an is commonly used to describe the righteous people and the people of falsehood, people of falsehood plot evil, while the righteous people plot goodness, however, the term often comes associated with evil and immorality. One of the most learned values from the study is that Allah's plotting is superior compared to Satan and disbelievers' plotting, proof of the prophets infallibility from deliberately committing sins, and the legitimacy of plotting on the side of good, without harming others.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده وصفيه من خلقه وخليفه، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ولبى نداء ربه حتى أجاب مناديه، وبعد:

فإن من سنن الله عز وجل التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحداً سنة الصراع بين الحق والباطل، فهي سنة قائمة منذ أن خلق الله عز وجل الخلق، وهي سنة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فمنذ أن خلق الله آدم عليه السلام والصراع قائم بين أهل الحق وأهل الباطل، يكيد أهل الباطل لأهل الحق، فيبطل الله ما يشاء من هذه المكائد، ويمضي ما شاء منها ابتلاء لعباده الصالحين ورفعاً لدرجاتهم. ويأتي هذا البحث للنظر في الآيات القرآنية التي عرضت للفظ (الكيد) ومشتقاته، وذلك بغرض فهم هذا المصطلح، والوقوف على المعاني والدلالات المتعلقة به في القرآن الكريم. ومن ثم الوقوف على المشاهد القرآنية التي ورد فيها الحديث عن الكيد، سواءً منها ما تعلق بالكيد في جانب الشرّ وهو الأغلب، أو ما تعلق بالكيد في جانب الخير. وذلك وفق منهجية التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني. وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء وتتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الكيد، ثم تحليلها ودراستها من خلال كتب التفسير خاصة وغيرها من المراجع التي يمكن الاستفادة منها في هذه القضية.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الكيد ودلالاته في السياق القرآني

المبحث الثاني: أسباب الكيد كما تدل عليها الآيات القرآنية

المبحث الثالث: المشاهد القرآنية الدالة على وقوع الكيد

المبحث الرابع: القيم المستفادة من دراسة مصطلح الكيد في القرآن الكريم

والله نسأل أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتنا وحسنات والدينا إنه ولي ذلك ومولاه.

المبحث الأول

مفهوم الكيد ومعانيه في السياق القرآني

أولاً: معنى الكيد

يدور معنى الكيد في اللغة حول المكر والخبث والاحتتيال³. وعرف الجرجاني الكيد بأنه: "إرادة مَصْرَة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق"⁴. وقال الراغب: "الكَيْدُ ضرب من الاحتتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر"⁵. ويرى البقاعي أن الكيد يطلق على "المكر والخبث والاحتتيال والخديعة والتدبير بحق أو باطل"⁶. يظهر مما سبق أن لفظ الكيد يعني اتخاذ أعمالٍ في الخفاء توقع المصْرَة على الغير، وقد يكون في الخير أو الشر وهو في الشر أكثر.

ولا بد من الإشارة هنا إلى الفرق بين الكيد والمكر: "فالكيد أقوى من المكر، والشاهد أنه يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف، فيقال: كاده يكيدُه ومكر به ولا يقال مكره، والذي يتعدى بنفسه أقوى. والمكر أيضاً تقدير ضرر الغير من أن يفعل به، ألا ترى أنه لو قال له أقدر أن أفعل بك كذا لم يكن ذلك مكرًا وإنما يكون مكرًا إذا يُعلمه به، والكيد اسم لإيقاع المكروه بالغير قهراً سواء علم أو لا، والشاهد قولك: فلان يكيدني، فسمى فعله كيداً وإن علم به"⁷.

ثانياً: الكيد في السياق القرآني

³ انظر: الرازي، زين الدين أبا عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ - 1999م، ص276. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ، (383/3). الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ - 2005م، (403/1).

⁴ الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ، ص241.
⁵ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دمشق: دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ، ص728. وانظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف: **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت: دار الفكر، ط1، 1410هـ، ص614.

⁶ البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (259/16).

⁷ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران: **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة، ص259.

ورد لفظ الكيد بمشتقاته في آيات عديدة في كتاب الله عز وجل على النحو الآتي⁸:

الرقم	الآية	رقمها	السورة	مكية/مدنية
1	"وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِكْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ"	120	آل عمران	مدنية
2	"فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"	76	النساء	مدنية
3	"وَأْمُرِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ"	183	الأعراف	مكية
4	"قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ"	195	الأعراف	مكية
5	"ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ"	18	الأنفال	مدنية
6	"فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ"	55	هود	مكية
7	"قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيُكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ"	5	يوسف	مكية
8	"قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"	28	يوسف	مكية
9	"قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"	33,34	يوسف	مكية
10	"قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ"	50	يوسف	مكية
11	"ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ"	52	يوسف	مكية
12	"كَذَلِكَ كِيدَنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ"	76	يوسف	مكية
13	"فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ"	60	طه	مكية
14	"فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ"	64	طه	مكية
15	"إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ"	69	طه	مكية
16	"وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ"	57	الأنبياء	مكية

8 انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، 2001م.

17	"وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ"	70	الأنبياء	مكية
18	"فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ"	15	الحج	مدنية
19	"فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ"	98	الصافات	مكية
20	"وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"	25	غافر	مكية
21	"وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ"	37	غافر	مكية
22	"أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ"	42	الطور	مكية
23	"فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا"	39	المرسلات	مكية
24	"وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ"	45	القلم	مكية
25	"إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا"	15,16	الطارق	مكية

الدلالات المستفادة من الآيات:

1. إن معنى الكيد في السياق القرآني يدور حول معناه اللغوي والاصطلاحي، فهو التدبير والخيانة والحيلة في الخفاء، وهذا ما تدل عليه أقوال المفسرين في تفسير الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الكيد، ومن ذلك أقوالهم الواردة في تفسير قوله تعالى: ((فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)). ومنها:
 - قال السمرقندي: "أي مكره ضعيف لا يدوم"⁹.
 - وقال الرازي: "والكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال"¹⁰.
 - وقال ابن عاشور: "والمراد بكيد الشيطان تدبيره"¹¹.
2. إن لفظ الكيد يطلق على الخير والشر، ولكن يتبن من خلال النظر في الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا اللفظ أن استخدام هذا اللفظ في الشر أكثر.
3. أكثر الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الكيد آيات مكية، ومعلوم أن الفترة المكية كانت فترة استضعاف للمسلمين. وكأن الآيات تشير بذلك إلى أن كيد الكائدين من الكفار وأوليائهم يأتي في سياق استضعاف المسلمين، من خلال المكر بهم والتآمر عليهم بكل الوسائل.

⁹ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: بحر العلوم، بدون معلومات نشر، (318/1).

¹⁰ الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين: مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ، (142/10).

¹¹ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، (124/5).

4. تشير الآيات القرآنية إلى أن الكثير من الأنبياء عليهم السلام تعرضوا للكيد، كما في سورة يوسف، وفي هذا إعلام بأن الكيد الذي لم يسلم منه الأنبياء قد يتعرض له كل من دعا إلى الحق وإلى المنهج القويم نبياً كان أو غيره.
5. تكرر لفظ الكيد ومشتقاته في سورة يوسف تسع مرات، ست منها في سياق الحديث عن فتنة النساء، ولعل هذا يوضح مدى خطورة فتنة النساء، وهذا المعنى يؤكد حديث النبي عليه السلام الذي جاء فيه: "ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء"¹².
6. أغلب الآيات القرآنية التي ورد فيها الحديث عن الكيد جاءت متعلقة بالرجال ولم تتحدث أي منها عن النساء إلا ما كان في سورة يوسف عليه السلام، ومع ذلك لم تنفرد سورة يوسف عليه السلام بالحديث عن كيد النساء فقط، بل تحدثت أيضاً عن كيد الرجال، فقد تحدثت عن كيد إخوة يوسف عليه السلام له، وعن كيده عليه السلام بهم. ولعل هذه النظرة القرآنية تصحح المفهوم الخاطئ عند كثير من الناس أن كيد المرأة أعظم من كيد الرجل، استناداً لما ورد في سورة يوسف من قوله تعالى: ((إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ))¹³. لأن الذي يُنعم النظر في النص القرآني يجد أن الذي وصف كيد النساء بأنه عظيم هو عزيز مصر، بينما الآيات التي كانت في بداية السورة والتي أسند فيها الكيد إلى إخوة يوسف، فقد كانت على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام، حذر فيها يوسف عليه السلام من كيد إخوته، ((قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ))¹⁴. ومن جهة أخرى فإن كيد امرأة العزيز كان حياً، كما يدل عليه قوله تعالى: ((قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا))¹⁵، أما كيد إخوة يوسف عليه السلام فكان غلاً وحقداً أوصلهم إلى التفكير بقتله، كما يدل عليه قوله تعالى: ((اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ))¹⁶.

¹² البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: اليمامة، ط3، 1407هـ، كتاب النكاح، باب ما يتقى به من شؤم المرأة، حديث (4808)، (5/1959).

¹³ سورة يوسف: آية (28)

¹⁴ سورة يوسف: آية (5).

¹⁵ سورة يوسف: آية (30).

¹⁶ سورة يوسف: آية (9).

ثالثاً: معاني الكيد في القرآن الكريم

- ذكر الدامغاني في الوجوه والنظائر أن الكيد في القرآن الكريم يأتي على سبعة أوجه، هي¹⁷:
1. العذاب، كما في قوله تعالى: ((وَأْمُلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ))¹⁸، يعني: عذابي شديد.
 2. القتل، كما في قوله تعالى: ((أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ))¹⁹، أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فهم المكيدون؛ أي المقتولون ببدر.
 3. المكر، كما في قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ))²⁰، يعني مكرهن.
 4. الحيلة، كما في قوله تعالى: ((فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا))²¹، يعني حيلة فاحتالوا.
 5. الصنع، كما في قوله تعالى: ((إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا))²² أي يصنعون صنعا، والمقصود بذلك صرفهم للناس عن محمد صلى الله عليه وسلم.
 6. الحرق بالنار، كما في قوله تعالى: ((فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ))²³، يعني الحرق بالنار.
 7. الخنق، كما في قوله تعالى: ((ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ فَلَئِنْ تَرَىٰ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيبُ))²⁴، يعني هل خنقه يذهب ما يغيظه؟²⁵.

17 الدامغاني، الحسين بن محمد: إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1983م، ص(411-412).

18 سورة الأعراف: آية (183)

19 سورة الطور: آية (42).

20 سورة يوسف: آية (33).

21 سورة المرسلات: آية (39)

22 سورة الطارق: آية (15)

23 سورة الصافات: آية (98)

24 سورة الحج: آية (15).

25 في هذا المعنى الأخير الذي يذكره الدامغاني إشارة لرواية عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير آية سورة الحج: "من كان يظن أن الله لا يرزقه فليختنق، فليقتل نفسه، إذ لا خير في حياة تخلو من عون الله". انظر: القرطبي، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م، (21/12).

المبحث الثاني أسباب الكيد كما تدل عليها الآيات القرآنية

الناظر والمتأمل في الآيات القرآنية التي ورد فيها مصطلح (الكيد)، يتبين له أن خلف الكيد جملة من الأسباب، وهي على النحو الآتي:

أولاً: الحسد

الحسد هو تمنى زوال النعمة عن المحسود²⁶. ويظهر من خلال النظر في الآيات القرآنية أن الحسد سبب من أسباب وقوع الكيد، وهذا واضح من خلال التأمل فيما كان بين يوسف عليه السلام وإخوته، فإن حسداهم لسيدنا يوسف هو الذي دفعهم للكيد له، وقد كان هذا الحسد نابعاً من شعورهم بأن يوسف أقرب إلى قلب أبيهم منهم، قال تعالى: ((إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))²⁷. فإن هذا القول ناشئ عن الحسد المستقر في قلوبهم²⁸.

ومن هنا فقد أدرك يعقوب عليه السلام خطر الحسد، وأنه قد يجر إلى الكيد، لذا فقد أوصى ولده يوسف بأن لا يقص رؤياه على أخوته، لأن هذه الرؤيا سوف تعزز ما في قلوبهم من حسد لأخيهم، ((قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ))²⁹ فقد عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدارين، كما فعل بأبائه، فخاف عليه حسد الإخوة وبغيتهم³⁰.

وقد بينت الآيات اللاحقة طبيعة هذا الكيد الذي كاده أخوة يوسف بسبب الحسد، قال تعالى على لسان أخوة يوسف: ((اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ))³¹ فقد وصل بهم الأمر إلى التشاور حول نوع المكيدة التي سيكيدونها ليوسف عليهم السلام، فكان أول ما خطر ببالهم هو قتله والاستراحة منه، إلى أن استقر رأيهم في النهاية على أن يلقيه في أعماق الجب، حتى يلتقطه بعض المارة.

²⁶ الجرجاني: التعريفات، ص 117.

²⁷ سورة يوسف: آية (8).

²⁸ ابن عاشور: التحرير والتنوير، (311/7).

²⁹ سورة يوسف: آية (5).

³⁰ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي،

ط3، 1407هـ، (444/2).

³¹ سورة يوسف: الآيتان (9، 10).

ثانياً: الشهوة

تشكل الشهوة سبباً آخر من أسباب وقوع الكيد، والشهوة كما يعرفها المناوي: "نزوع النفس إلى محبوب"³².

ويظهر هذا السبب من أسباب الكيد في سورة يوسف أيضاً، فإن المتأمل لقصة يوسف عليه السلام وما حدث له في بيت العزيز مع زوجته، ليعلم أن السر في كيدها له هو الشهوة، يقول الله تعالى: ((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ))³³. "والتعبير عن حالها معه بالمرادة المقتضية لتكرار المحاولة، للإشعار بأنها كان منها الطلب المستمر، المصحوب بالإغراء والترفق والتحايل على ما تشتهي منه بشتى الوسائل والحيل"³⁴.

وقد أقرت بهذا أمام النسوة اللاتي تناقلن خبرها، ثم أعلنت على الملأ عن سر كيدها ليوسف عليه السلام، قال تعالى: ((وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرَجَ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ))³⁵.

وقد وصف يوسف عليه السلام فعل امرأة العزيز والنسوة الناتج عن الشهوة بأنه كيد، قال تعالى: ((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). "وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأنهن خوفنه من مخالفتها وزيئاً له مطاوعتها، أو دعونه إلى أنفسهن"³⁶.

ثم كانت نتيجة هذا الكيد أن رُجَّ بيوسف عليه السلام في السجن، ((ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ))³⁷ فكانت الشهوة التي ألمت بامرأة العزيز هي التي أوصلت إلى هذا الكيد بيوسف عليه السلام.

³² المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، (440/1).

³³ سورة يوسف: آية (23).

³⁴ طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة: دار نهضة مصر، ط1، ص2291.

³⁵ سورة يوسف: الآيات (30-32).

³⁶ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد

الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ، (163/3).

³⁷ سورة يوسف: آية (35).

ثالثاً: الكبر والغرور

لقد كان الكبر والغرور من أبرز الصفات التي تأصلت في شخصية فرعون، حتى وصل به الأمر أن قابل دعوة موسى عليه السلام بادعاء الألوهية، قال تعالى: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ))³⁸. وهذا القول من فرعون دليلاً على بلوغه الغاية في الغرور والكبر والتعالي³⁹.

فكان من نتيجة هذا الكبر والغرور أن عمل فرعون بشتى الوسائل على الكيد لموسى عليه السلام: ((فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى))⁴⁰، وذلك في محاولة منه لإثبات تفوقه على سيدنا موسى عليه السلام. ثم وجه أوامره للسحرة قائلاً: ((فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى))⁴¹. محاولاً إغراء السحرة بالمال والمتاع إذا هم فازوا على موسى عليه السلام.

ثم بين الله نتيجة كيد فرعون في قوله: ((وَكذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ))⁴². وسمي كيداً لأن غاية فرعون من هذا الفعل كانت لإثبات كذب موسى عليه السلام أمام قومه⁴³. فأحبط الله كيده وردّه خائباً خاسراً أمام قومه.

رابعاً: التعصب للرأي

قد يكون التعصب للرأي سبباً من أسباب الكيد، إذ ليس بالضرورة أن يكون كيد الأعداء ناتجاً عن عدم القناعة أو عدم توفر الأدلة التي تبين صدق أتباع الحق. فها هو الحق يظهر على يد إبراهيم عليه السلام في مواجهته لقومه، حيث قام بتحطيم الأصنام، ورأوا بأم أعينهم كيف أن آلهتهم محطمة وعاجزة لا تستطيع الدفاع عن نفسها. قال تعالى: ((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ))⁴⁴.

³⁸ سورة القصص: آية (38 , 39).

³⁹ انظر: الزمخشري: الكشاف، (419/3). طنطاوي: التفسير الوسيط، ص 3267.

⁴⁰ سورة طه: آية (60).

⁴¹ سورة طه: آية (64).

⁴² سورة غافر: الآيات (36، 37).

⁴³ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، (17/13).

⁴⁴ سورة الأنبياء: الآيات (57-65).

وبهذا فقد بان لهم صدق إبراهيم عليه السلام، ومع ذلك فقد أصروا على موقفهم وتعصبوا لرأيهم، فانطلقوا يكيدون لإبراهيم عليه السلام ((قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * فَلَمَّا يَأْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ))⁴⁵ فانقلب كيدهم وتديبيرهم عليهم، لأنهم أرادوا المكر بإبراهيم عليه السلام لإيذائه، فجعلهم الله من ذوي الخسران والوبال، "إذ صار سعيهم في إطفاء نور الحق قولاً وفعلاً، برهاناً على أنه عليه السلام على الحق وهم على الباطل، وأنهم استحقوا أشد العذاب"⁴⁶. قال ابن عاشور: "والمراد بالخسارة: الخيبة. وسميت خيبتهم خسارة على طريقة الاستعارة، تشبيهاً لخبية قصدهم إحراقه بخبية التاجر في تجارته، كما دل عليه قوله تعالى: (وأرادوا به كيداً)، أي فخابوا خيبة عظيمة. وذلك أن خيبتهم جمع لهم بها سلامة إبراهيم من أثر عقابهم وإن صار ما أعدوه للعقاب معجزة وتأييداً لإبراهيم عليه السلام"⁴⁷.

خامساً: الدفاع عن الحق

على الرغم من أن الورد الأكثر للفظ الكيد في القرآن الكريم كان في الشر، إلا أنه في بعض المواطن ورد في الخير، وذلك في سياق الدفاع عن الحق والدعوة إلى الهدى والرشاد. فإبراهيم عليه السلام من أجل الدفاع عن دعوة التوحيد قرر تحطيم الأصنام، قال تعالى: ((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ))⁴⁸، أي "لأجتهدن في كسرها، ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل"⁴⁹. قال ابن عاشور: "وسمى تكسيره الأصنام كيداً على طريق الاستعارة أو المشاكلة التقديرية، لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها، فلا يستطيع أن يمسه بسوء إلا على سبيل الكيد"⁵⁰. وإنما فعل إبراهيم عليه السلام ذلك حتى يثبت لهم أن هذه الأصنام حجارة لا تضر ولا تنفع، ومن كان هذا شأنه فلا يمكن أن يكون إلهاً.

⁴⁵ سورة الأنبياء: الآيات (68-70).

⁴⁶ المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ - 1946م، (51/17).

⁴⁷ ابن عاشور: التحرير والتنوير، (107/17).

⁴⁸ سورة الأنبياء: الآية (57).

⁴⁹ البيضاوي: أنوار التنزيل، (54/4).

⁵⁰ ابن عاشور: التحرير والتنوير، (97/17).

المبحث الثالث

المشاهد القرآنية الدالة على وقوع الكيد

عرض القرآن الكريم جملة من المشاهد التي تدل على وقوع الكيد، وهذه المشاهد تدل على أن الكيد قد يكون في الخير وقد يكون في الشر، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: الكيد في الشر

الكيد في الشر هو الغالب كما يظهر من خلال تتبع هذا المصطلح في القرآن الكريم، ولقد أورد القرآن الكريم نماذج عديدة تحدث فيها عن كيد الكائدين المنحرفين بالمؤمنين، ومنها:

أولاً: الكيد لإبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن وأبو الأنبياء⁵¹، مدحه الله تعالى مدحاً عظيماً في مواضع عدة من القرآن، منها قوله تعالى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ))⁵². وسميت باسمه سورة من سور القرآن.

وقد نال إبراهيم عليه السلام ما ناله من الكيد من قبل قومه، على الرغم من أنه دعاهم للحق والهدى، وكان حريصاً على إخراجهم من الظلمات إلى النور، وإبعادهم عن كل ما يتنافى مع مكارم الأخلاق، قال تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ))⁵³.

فلمّا وجد إبراهيم إصرارهم على عبادة الأصنام، خرج وهو يفكر في نفسه أن يحطم هذه الأصنام، وكان اليوم التالي يوم عيد، فأقام القوم احتفالاً كبيراً خارج المدينة، وذهب إليه جميع الناس، وخرج إبراهيم وحده إلى شوارع المدينة فلم يجد فيها أحداً، فانتهز هذه الفرصة وأحضر فأساً، ثم ذهب إلى المعبد الذي فيه الأصنام دون أن يراه أحد، فوجد أصناماً كثيرة.. ثم أخذ يكسر الأصنام واحداً تلو الآخر، حتى صارت كلها حطاماً إلا صنماً كبيراً تركه إبراهيم ولم يحطمه⁵⁴. قال تعالى: ((فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ

51 النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ، (519/4).

52 سورة النحل: آيات (119-122).

53 سورة الأنبياء: آية (52).

54 الشهود، علي بن نايف: الخلاصة في حياة الأنبياء، بدون معلومات نشر، (67/1).

إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ))⁵⁵، والجذاذ: القِطْع⁵⁶؛ أي 'قولوا مدبرين عن الأصنام فجعلها بفأسه قطعاً صغيرة، بأن حطمها عن آخرها سوى الصنم الأكبر لم يحطمه بل تركه من غير تكسير لعلهم إليه يرجعون، فيسألونه كيف وقعت هذه الواقعة وهو حاضر، ولم يستطع الدفاع عن إخوته الصغار؟! ولعل إبراهيم عليه السلام قد فعل ذلك ليقوم لهم أوضح الأدلة على أن هذه الأصنام لا تصلح أن تكون آلهة، لأنها لم تستطع الدفاع عن نفسها، وليحملهم على التفكير في أن الذي يجب أن يكون معبوداً، إنما هو الله الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء'⁵⁷.

وهنا اجتمع القوم ليكيدوا لإبراهيم عليه السلام، وليدبروا له أمراً يكون فيه هلاكه، فاتفقوا على إحراقه بالنار، قال الله تعالى: ((قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ))⁵⁸. فقد أرادوا أن يحرقوه بالنار ولكن الله أبطل كيدهم وحول النار إلى برد وسلام على إبراهيم عليه السلام، وجعل العاقبة له على القوم الكافرين. قال صاحب روح البيان: "فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ الْأَذْلِينَ بِإِبْطَالِ كَيْدِهِمْ وَجَعَلَهُ بَرَهَانًا نَبِيًّا عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَعْلِ النَّارِ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا"⁵⁹. وفي سورة الأنبياء: ((قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ))⁶⁰. فكانت النتيجة إذاً أن أحبط الله كيدهم بإبراهيم عليه السلام.

ثانياً: الكيد ليوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام نبي ابن نبي ابن نبي، فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ويظهر الكيد بيوسف عليه السلام في القرآن الكريم في مشهدين:

(1) الكيد ليوسف عليه السلام من إخوته

بين القرآن الكريم أنّ رحلة الصراع والمعاناة اشتدت مع يوسف عليه السلام من رؤيا رآها فقصّها على والده، فقال له والده كما يحدثنا القرآن: ((يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ

55 سورة الأنبياء: آية (58).

56 الزمخشري: الكشاف، (124/3).

57 طنطاوي: التفسير الوسيط، ص 2910.

58 سورة الصافات: الآيتان (98، 99).

59 حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي البرسوي: روح البيان، بيروت: دار الفكر، (471/7).

60 سورة الأنبياء: الآيات (68-70).

الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ))⁶¹، فحذره يعقوب عليه السلام من قصّ الرؤيا على أخوته مخافة أن يدفعهم الحسد للكيد به وإلحاق الضرر به⁶².

وبدأ كيد أخوة يوسف عليه السلام بأخيهم منذ اللحظة التي شعروا فيها بأنّ ليوسف مكانة خاصة في قلب والدهم، فلم يرضهم ذلك، ولم يعجبهم أن يحظى يوسف بهذه المكانة دونهم، فبدؤوا يكيدون له، وأخذوا بالتشاور على حيلة يحتالونها على أخيهم حتى يكون لهم الخلاص منه، قال تعالى: ((إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ))⁶³. ثم بدأ هذا المخطط ينتقل إلى مرحلة الفعل والتنفيذ ((قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ))⁶⁴. فأجابهم يعقوب عليه السلام إلى طلبهم على الرغم من خوفه الشديد على يوسف وشكّه في نواياهم، فلما وصلوا إلى الجب أجمعوا أن يجعلوه فيه ((فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))⁶⁵.

فبعد أن ألقى عليه السلام في الجب سخر الله له سيارة كانوا يمرون في الطريق فلما رأوا الجب أرسلوا واردهم ليأتي لهم بالماء، فتعلق يوسف عليه السلام بحبل الوارد، فلما رآه الوارد فرح واستبشر وأسروه بضاعة معهم⁶⁶.

وبذلك فقد نجى رب العالمين يوسف عليه السلام من كيد أخوته، ويقدر الله أن ينتقل يوسف عليه السلام إلى قصر العزيز ((وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَدًّا))⁶⁷، ليبداً المشهد الثاني من مشاهد الكيد.

(2) الكيد ليوسف عليه السلام من امرأة العزيز

وصل يوسف عليه السلام إلى بيت العزيز ليكون مجرد عبدٍ بين مجموعة من العبيد، فتعجب به امرأة العزيز، وهنا يتعرض يوسف عليه السلام لكيدٍ جديدٍ ولمحنةٍ من نوعٍ آخر. وتعرض آيات سورة

⁶¹ سورة يوسف : آية (5).

⁶² انظر: الطبري، أبا جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، ط1، 1420هـ، (558/15).

⁶³ سورة يوسف: الآيات (8-10).

⁶⁴ سورة يوسف: الآيات (11-14).

⁶⁵ سورة يوسف: آية (15).

⁶⁶ انظر: طنطاوي: التفسير الوسيط، (2287/1).

⁶⁷ سورة يوسف: آية (21).

يوسف ما جرى في بيت عزيز مصر، وتُظهر كيد امرأته ليوسف عليه السلام، قال تعالى: ((وَرَاوَدْتُهُ اللَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقْتُ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتُ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ))⁶⁸.

والمراودة كما يقول الزمخشري: "مفاعلة، من راد يراود إذا جاء وذهب، كأن المعني: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه"⁶⁹. "والتعبير عن حالها معه بالمراودة المقتضية لتكرار المحاولة، للإشعار بأنها كان منها الطلب المستمر، المصحوب بالإغراء والترفق والتحايل"⁷⁰.

وكان موقفه عليه السلام الإباء والامتناع خوفاً من الله عز وجل. وذات مرة غلقت عليه أبواب بيتها باباً باباً بحيث أصبح الإغلاق محكماً، ثم تجاوزت الحد بقولها: (هَيْتَ لَكَ)، فكان رده عليه السلام (معاذ الله) إنه ربي الذي أكرمني وأنجاني من الجب إنه لا يفلح الظالمون، فهمت به تريد المعصية، ولكن خوفه من الله منعه من ذلك، فهرب نحو الباب، فلحقت به لتحول بينه وبين الخروج منه، وقدت قميصه من دُبُرٍ، وصادفا زوجها عند الباب، فأرادت لما رآته أن تبرئ ساحتها، فأسرعت بالكلام (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) فخرجت كلمات يوسف عليه السلام للدفاع عن نفسه فقال: (هي راودتني عن نفسي). وبعد أن رأى وتحقق من الأمر، عرف أن زوجته هي الكائنة، فقال: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ). وفي ذلك إثبات لبراءة يوسف عليه السلام، ومع ذلك وحفاظاً على سمعة الأسرة الحاكمة، يُحكم على يوسف بالسجن (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ)⁷¹.

فأنجى الله يوسف عليه السلام من كيد امرأة العزيز وابتلاه بالسجن بضع سنين.

⁶⁸ سورة يوسف: آيات (23 - 28).

⁶⁹ الزمخشري: الكشاف، (429/2).

⁷⁰ طنطاوي: التفسير الوسيط، (2291/1).

⁷¹ انظر: ابن كثير، أبا الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، (325/4). السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، ص396. طنطاوي: التفسير الوسيط، ص2293-2306.

ثالثاً: الكيد لموسى عليه السلام

موسى بن عمران عليه السلام، كلم الله، وردت قصته مع بني إسرائيل في مواضع كثيرة في كتاب الله، حتى قال صاحب الإتقان: "كاد القرآن أن يكون كله موسى"⁷². "وذكرنا القرآن الكريم بها دائماً لأن أحداثها تعالج قصة أسوأ البشر في التاريخ"⁷³.

أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون ليدعوه إلى الله، لكنه سخر منه واستهزأ به، وطالبه بالبينة على صدقه، فجاءه بمعجزة العصا واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء، لكنه اتهمه بالسحر، ثم قرر تحدي موسى عليه السلام، فجمع السحرة في يوم الزينة، قال تعالى: ((فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى))⁷⁴، ومكث فرعون يكيد لموسى عليه السلام ويجمع لتحقيق كيده السحرة من شتى القبائل، ويرغبهم بالفوز والفلاح، وبأن يقدم لهم جزي العطاء، وأن يجعل لهم المكانة الخاصة عنده، فخاطبهم قائلاً: ((فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى))⁷⁵. يقو ابن عاشور: "ومعنى جمع الكيد: تدبير أسلوب مناظرة موسى، وإعداد الحيل لإظهار غلبة السحرة عليه، وإقناع الحاضرين بأن موسى ليس على شيء. وهذا أسلوب قديم في المناظرات: أن يسعى المناظر جهده للتشهير ببطلان حجة خصمه بكل وسائل التلبيس والتشنيع والتشهير، ومبادئه بما يفت في عضده ويشوش رأيه حتى يذهب منه تدبيره. والجمع هنا مستعمل في معنى إعداد الرأي. واستقصاء ترتيب الأمر، كقوله: ((فأجمعوا أمركم)) [يونس: 71]، أي جمع رأيه وتدبيره الذي يكيد به موسى... والكيد: إخفاء ما به الضر إلى وقت فعله"⁷⁶.

ثم يأتي اليوم الموعود، وتبدأ المناظرة، فيلقي السحرة الحبال والعصي ويسحروا بها أعين الناس، فيقع الخوف في قلوب الناس ومعهم موسى عليه السلام، فأوحى الله إلى موسى أن يلقي عصاه، فألقاها فابتعلت حبال السحرة وعصيهم. ((وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى))⁷⁷ فشرح الله صدور السحرة وأعلنوا الإيمان بالله⁷⁸.

وهكذا خاب كيد فرعون ولم يفلح، وارتد خاسراً مهزوماً. قال تعالى: ((وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ))⁷⁹، "أي في خسران وضلال"⁸⁰. "وحرف الظرفية استعارة تبعية لمعنى شدة الملازمة، كأنه قيل: وما كيد فرعون إلا بتباب شديد"⁸¹.

72 السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (199/1).

73 الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص34.

74 سورة طه: آية (60).

75 سورة طه: آية (64).

76 ابن عاشور: التحرير والتنوير، (247/16 - 248).

77 سورة طه: آية (69).

78 انظر: الشهود: الخلاصة في حياة الأنبياء، ص185 - 186.

79 سورة غافر: الآيتان (36، 37).

المطلب الثاني: الكيد في الخير

في المطلب السابق تم استعراض جملة من النماذج التي يظهر من خلالها أن الكيد يكون في الشر، وفي هذا المطلب سيتم استعراض نماذج أخرى ولكن في جانب الخير، ذلك أن لفظ الكيد في القرآن الكريم قد نُسب إلى الأخيار كما نسب إلى الأشرار، بل إن الله تعالى قد وصف ذاته العلية بهذا الوصف، كما في قوله تعالى: ((وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ))⁸² وقوله تعالى: ((إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا))⁸³ وإضافة الكيد إلى الله تعالى تُحمل على المعنى اللائق به، كإبطال مكر أعدائه أو إمدادهم بالنعم ثم أخذهم بالعذاب.

ومن النماذج القرآنية التي تؤكد نسبة الكيد للصالحين، ما يأتي:

أولاً: كيد إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه

حدثنا القرآن الكريم عما فعل إبراهيم عليه السلام بأصنام قومه، لما خرجوا في يوم الزينة، فقام بتحطيمها إلا كبيرها، وعبر القرآن عن صنيعه عليه السلام مع الأصنام بالكيد، قال الله تعالى: ((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ))⁸⁴. يقول ابن عاشور: "والكيد التحايل على إلحاق الضرر"⁸⁵. وقد عبر به إبراهيم عن تكسير الأصنام وتحطيمها، لأن ذلك يحتاج إلى احتيال وحسن تدبير، وقد نفذ إبراهيم ما توعد به الأصنام، فقد انتهر فرصة ذهاب قومه بعيداً عنها فحطمها"⁸⁶. ولا شك أن هذا الفعل من إبراهيم عليه السلام هو خير محض، لأن فيه إعلاء لراية التوحيد، وإظهاراً لبطان عبادة الأصنام.

ثانياً: كيد يوسف عليه السلام لإخوته

ثمة فرق كبير بين كيد أخوة يوسف لأخيهم وبين كيد يوسف لأخوته، فإن الأول كان في الشر، لأنهم قصدوا من خلاله إيقاع الضرر بيوسف عليه السلام والخلاص منه، والثاني في الخير لأن يوسف عليه السلام أراد من خلاله إظهار الحق لإخوته، كي يندموا على خطاياهم ويتوبوا إلى الله عز وجل.

⁸⁰ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (315/15).

⁸¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير، (148/24).

⁸² سورة الأعراف: الآية (138).

⁸³ سورة الطارق: الآيتان (15، 16).

⁸⁴ سورة الأنبياء: آية (57).

⁸⁵ ابن عاشور: التحرير والتنوير، (253/2).

⁸⁶ طنطاوي: التفسير الوسيط، ص2910.

فقد حدثنا القرآن الكريم عما جرى بين يوسف عليه السلام وإخوته، عندما جاءوا إليه رغبة في الكيل، فأمرهم أن يعودوا وأن يأتوا بأخ لهم من أبيهم، فلما جاءوا به كاد لهم يوسف عليه السلام مكيدة وردت تفاصيلها في القرآن الكريم. قال تعالى: ((فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّفَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ * قَالُوا نَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَادِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ))⁸⁷.

فهذا الكيد الذي جاء به يوسف عليه السلام هو بتعليم من رب العالمين كما أشار إلى ذلك الزمخشري⁸⁸. وقد أسند إلى الله تعالى لأنه ملهمه فهو مسببه⁸⁹. "وفى نسبة الكيد والتدبير إلى الله سبحانه وتعالى إشارة إلى ألطافه بيوسف، ورعايته وتوليئه له، وأنه سبحانه هو الذي يدبر هذا التدبير المحكم، وأنه بمثل هذا التدبير الذي دبره له، بلغ ما بلغ من منازل العزة والسيادة. وتسمية تدبير الله كيداً، تقريب لمفهومه المتعارف بين الناس، وذلك أنه إذا كان التدبير محكماً، تنتشعب مسالكه، وتتباعد أسبابه- ثم تلتقى جميعها آخر الأمر، فتقع على الهدف المراد- كأن هذا التدبير كيداً، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ((إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا)) (15-16: الطارق)⁹⁰.

"والكيد هنا هو إلهام يوسف عليه السلام، لهذه الحيلة المحكمة في وضع الصواع وتفنيشه وإلهام إخوته إلى ذلك الحكم المضمّت"⁹¹. "وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة"⁹².

"وهكذا رفع الله من شأن يوسف، وكاد له، وحقق له أمله، وهو يستحق كل ذلك؛ ورفع سبحانه درجات عالية من العلم والحكمة، ولم يكن الكيد بسبب أن يُنزل بشقيقه عذاباً أو ضياعاً، بل نريد ليوسف ولأخيه الرُّفعة"⁹³.

⁸⁷ سورة يوسف : الآيات (76-70).

⁸⁸ الزمخشري: الكشاف، (491/2).

⁸⁹ ابن عاشور: التحرير والتنوير، (31/13).

⁹⁰ الخطيب، عبد الكريم يونس: التفسير القرآني للقرآن، القاهرة: دار الفكر العربي، (26/7).

⁹¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير، (31/13).

⁹² الزحيلي، وهبة مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ،

(32/13). وانظر: اسماعيل حقي: فتح البيان، (377/6).

⁹³ الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي - الخواطر، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ص1659.

المبحث الرابع

القيم المستفادة من دراسة مصطلح الكيد في القرآن الكريم

بعد النظر في الآيات القرآنية التي ورد فيها مصطلح الكيد، والمعاني المرتبطة بهذا المصطلح، يمكن استخلاص مجموعة من القيم، أهمها:

أولاً: قوة كيد الله وضعف كيد الشيطان

قال سبحانه وتعالى واصفاً كيده بأهل الباطل: ((وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ))⁹⁴؛ أي: عظيم⁹⁵. قال الزمخشري: "الصحة والرزق والمد في العمر، إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة، ولكنهم يجعلونه سبباً في الكفر باختيارهم. فلما تدرجوا به إلى الهلاك، وصف النعم بالاستدراج... وسمى إحسانه وتمكينه كيداً كما سماه استدراجاً، لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للتورط في الهلكة، ووصفه بالمثانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك"⁹⁶.

وأما في الحديث عن كيد الشيطان، فقد قال تعالى: ((إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا))⁹⁷، "لأن الشيطان عندما يكيد سيكون كيده في مقابل كيد ربه، فلا بد أن يكون كيده ضعيفاً جداً بالقياس لكيد الله"⁹⁸.

المؤمن الحقيقي إذاً هو من يبقى مع الله ولا يركن لسواه، ولا يعتمد على غيره. ففي الإشارة إلى قوة كيد الله مقارنة بكيد الشيطان ما يدفع المؤمنين للاتكال على الله دائماً وعدم الخوف من أهل الباطل، فإن الذي يمنح المؤمنين القوة هو استشعار معية الله تعالى. وهذا ما يظهر من خلال تدقيق النظر في الآية القرآنية التي تحدثت عن ضعف كيد الشيطان، فإنها جاءت في سياق الحديث عن الجهاد في سبيل الله، وعدم الخوف من أهل الباطل وعدم الإذعان لهم، قال تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا))⁹⁹.

يقول صاحب المنار: "إن كيد الشيطان كان ضعيفاً لأنه يزين لأصحابه الباطل والظلم والشر، وإهلاك الحرث والنسل، فيوهمهم بوسوسته أنها خير لهم، وفيها عزهم وشرفهم، وهذا هو الكيد والخداع،

⁹⁴ سورة القلم: آية (45).

⁹⁵ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (200/8).

⁹⁶ الزمخشري: الكشاف، (596/4).

⁹⁷ سورة النساء: آية (76).

⁹⁸ الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص 357.

⁹⁹ سورة النساء: آية (76).

ومن سنن الله في تعارض الحق والباطل، أن الحق يعلو والباطل يسفل، وفي مصارعة المصالح والمفاسد بقاء الأصلاح، ورجحان الأمثال، فالذين يقاتلون في سبيل الله يطلبون شيئاً ثابتاً صالحاً تقتضيه طبيعة العمران، فسنن الوجود مؤيدة لهم، والذين يقاتلون في سبيل الشيطان يطلبون الانتقام والاستعلاء في الأرض بغير حق، وتسخير الناس لشهواتهم ولذاتهم، وهي أمور تأبأها فطرة البشر السليمة، وسنن العمران القويمة، فلا قوة ولا بقاء لها، إلا بتركها وشأنها، وإرخاء العنان لأهلها، وإنما بقاء الباطل في نومة الحق عنه¹⁰⁰.

ثانياً: إثبات عصمة الأنبياء من تعدد اقرار الكبار

المقصود بعصمة الأنبياء كما يقول الراغب الأصفهاني: "حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم بالنصرة، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))¹⁰¹102".

والأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري، ووصلوا بما أفاضه الله عليهم إلى قمة الكمال الإنساني، "ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم من القلوب، ولصغر شأنهم في أعين الناس، وبذلك تضيع الثقة فيهم، فلا ينقاد لهم أحد، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق"¹⁰³، ومع كل ذلك وبحكم بشريتهم كانت تقع منهم بعض الأخطاء التي سرعان ما يصوبها الله تعالى لهم. يقول ابن تيمية: "الله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقروناً بالتوبة والاستغفار، كقول آدم وزوجته: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)¹⁰⁴ وَقَوْلِ نُوحٍ: (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ)¹⁰⁵106".

والأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطأ في الأمور الآتية¹⁰⁷:

¹⁰⁰ رضا، محمد رشيد بن علي: تفسير القرآن الحكيم (المنار)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، (212/5).

¹⁰¹ سورة المائدة: الآية (67).

¹⁰² الراغب الأصفهاني: المفردات، ص 340.

¹⁰³ سابق، سيد: العقائد الإسلامية، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 183.

¹⁰⁴ سورة الأعراف: الآية (23).

¹⁰⁵ سورة هود: الآية (47).

¹⁰⁶ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م، (296/10).

¹⁰⁷ مصطفى، إبراهيم عبد الرحيم: الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير) جامعة النجاح الوطنية، 2009م.

1. في تحمّل الرسالة. فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم إلا شيئاً قد نُسخ، قال تعالى: ((سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى))¹⁰⁸.

2. في التبليغ. فالرسل لا يكتفون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ذلك لأن الكتمان خيانة، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))¹⁰⁹.

3. من تعمد اقتراف كبائر الذنوب والصغائر الخسيسة.

وتظهر هذه الصورة بوضوح عند النظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن كيد امرأة العزيز بيوسف عليه السلام، فقد كانت كل ظروف المعصية مهياة ليوسف عليه السلام، غير أن الله عز وجل عصمه من الوقوع في كبيرة الزنا. قال تعالى: ((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))¹¹⁰.

ثالثاً: البشارة للمؤمنين بضعف كيد الكافرين

قد يصاب المؤمن باليأس حينما يرى وضع المسلمين وأحوالهم الآن، وما هم عليه من الضعف والهوان، في مقابلة قوة الأعداء وكيدهم بالمسلمين، ولكن من خلال دراسة مصطلح الكيد في القرآن الكريم نلمح بشارة قرآنية بضعف كيد الأعداء وإن بدا في ظاهره قوياً. قال تعالى: ((ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ))¹¹¹. فقد جاءت هذه الآية القرآنية في ظروفٍ اشتدّ فيها الأذى على النبي صلى الله عليه وسلم، وكاد الكفار فيها لهذه الدعوة، جاءت لتبشر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله موهن كيد الكافرين، أي مضعف كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ومحاولتهم القضاء على دعوة التوحيد والإصلاح قبل أن تقوى وتشتد¹¹².

وهذه البشارة عامة في كل زمان ومكان، فالله سبحانه وتعالى يؤيد أوليائه وينصرهم على أعدائهم، ف "الإشارة هنا إلى ما لله سبحانه وتعالى من رعاية لأوليائه، وتمكين لهم من أعدائهم.. فأوليائه، المجاهدون في سبيله، هم أبداً محفوفون بنصره وتأييده، وأن ما يكيد الكافرون لهم لا يصل إليهم، إلا واهياً، ضعيفاً، متخاذلاً"¹¹³.

¹⁰⁸ سور الأعلى: الآية (6).

¹⁰⁹ سورة المائدة : الآية (67).

¹¹⁰ سورة يوسف: الآيتان (33، 34).

¹¹¹ سورة الأنفال: الآية (18).

¹¹² رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، (518/9).

¹¹³ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (26/7).

ولعل هذا الأمر يبعث الأمل في نفس المؤمن، خاصة حينما يعلم بأن العاقبة للمؤمنين، وأن الغلبة لأتباع هذا الدين. فقد جعل الله تعالى هذه الحياة نزاعاً موصولاً وصراعاً مستمراً بين أهل الحق وأهل الباطل، ولكن سنة الله عز وجل في ذلك أن العاقبة دائماً في هذا الصراع للمؤمنين الصادقين. وهذه حقيقة لا شك فيها، وهذا وعد الله ولا يخلف الله وعده. قال تعالى: ((وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ))¹¹⁴.

رابعاً: مشروعية الكيد

في حديث القرآن الكريم عن الكيد في جانب الخير "دليل" على جواز التوصل إلى الأغراض المشروعة بما ظاهره الحيلة إذا لم يخالف نصاً تشريعياً أو حكماً مقررأ، فهي حيلة جائزة مشروعة، لا ممنوعة محظورة، لما يترتب عليها من الخير والمصلحة، دون إلحاق ضرر بأحد¹¹⁵.
وذلك لأن الكيد من حيث المفهوم هو "التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم؛ يعني: أن توقع بخصمك بأسباب خفية لا يدري عنها. وهي في محلها صفة كمال يحمد عليها، وفي غير محلها صفة نقص يذم عليها"¹¹⁶.

ومن الكيد المشروع ما يكون في الحرب فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: "الحرب خدعة"¹¹⁷. وقد استخدم النبي عليه الصلاة والسلام هذه المكيدة في غزوة الخندق، حيث طلب النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه المشورة، فأعجب عليه السلام برأي لسلمان الفارسي رضي الله عنه يتمثل في حفر خندق يمنع المشركين من التقدم نحو المدينة. ولم يكن للعرب حينها معرفة باستخدام هذا الأسلوب في حروبهم السابقة؛ لأنهم تعودوا المواجهة المباشرة، كما حدث في بدر وأحد، ولذلك فوجئ الأحزاب حين مجيئهم بهذا الخندق الذي حفره المسلمون بعدما أخذوه من أساليب الفرس القتالية وكما ذكره لهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، ولذلك قال المشركون حين رأوا الخندق: "والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها"¹¹⁸.

¹¹⁴ سورة الصافات: الآيات (171-173).

¹¹⁵ الزحيلي: التفسير المنير، (32/13). وانظر: اسماعيل حقي: فتح البيان، (377/6).

¹¹⁶ العثيمين، محمد بن صالح بن محمد: شرح العقيدة الواسطية، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط6، 1421هـ، (335/1).

¹¹⁷ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، حديث 3029، (64/4).

¹¹⁸ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، بيروت: الكتب الثقافية، ط3، 1417هـ، (257/1).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي أعان على إتمام هذا البحث الذي اشتمل على

معلومات ونتائج يجدر بنا في نهاية المطاف أن نلخص أهمها:

1. يدور معنى الكيد في اللغة وفي الاصطلاح والسياق القرآني حول محور مشترك وهو التدبير والحيلة في الخفاء، وهو لفظ مشترك بين أهل الحق وبين أهل الباطل، مع أنه في حق الشر أشهر.
2. أكثر الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الكيد آيات مكية، ومعلوم أن الفترة المكية كانت فترة استضعاف للمسلمين. وكأن الآيات تشير بذلك إلى أن كيد الكائدين من الكفار وأوليائهم يأتي في سياق استضعاف المسلمين، من خلال المكر بهم والتآمر عليهم بكل الوسائل.
3. الكثير من الأنبياء عليهم السلام تعرضوا للكيد، وهذا دليل على أن الكيد الذي لم يسلم منه الأنبياء قد يتعرض له كل من دعا إلى الحق وإلى المنهج القويم نبياً كان أو غيره، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
4. القول إن كيد المرأة أعظم من كيد الرجل استناداً لما ورد في سورة يوسف من قوله تعالى: ((إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)) ليس دقيقاً، لأن هذا الوصف جاء على لسان عزيز مصر، ثم إن ورود هذا المصطلح في القرآن الكريم كان بحق الرجال أكثر منه بحق النساء.
5. من أعظم أسباب الكيد في الشر كما تدل عليها الآيات القرآنية: الحسد، والشهوة، والكبر، والتعصب للرأي.
6. على الرغم من أن الورد الأكثر للفظ الكيد في القرآن الكريم كان في الشر، إلا أنه في بعض المواطن ورد في الخير، وذلك في سياق الدفاع عن الحق والدعوة إلى الهدى والرشاد.
7. من أهم القيم المستفادة من دراسة مصطلح الكيد في القرآن الكريم: بيان قوة كيد الله تعالى وضعف كيد الشيطان، والبشارة للمؤمنين بضعف كيد الكافرين، وإثبات عصمة الأنبياء من تعمد اقتراف الكبائر، والدلالة على مشروعية الكيد في جانب الخير دون إلحاق ضرر بالآخرين.

قائمة المراجع

1. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم: **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م.
2. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي: **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق: السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، بيروت: الكتب الثقافية، ط3، 1417هـ.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر.
4. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.
5. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ.
6. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران: **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: اليمامة، ط3، 1407هـ.
8. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
9. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.
10. الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ.
11. حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي البرسوي: **روح البيان**، بيروت: دار الفكر.
12. الخطيب، عبد الكريم يونس: **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي.
13. الدامغاني، الحسين بن محمد: **إصلاح الوجوه والنظائر**، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1983م.

14. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين: **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.
15. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ - 1999م.
16. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دمشق: دار القلم، دار الشامية، ط1، 1412هـ.
17. رضا، محمد رشيد بن علي: **تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
18. الزحيلي، وهبة مصطفى: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ.
19. الزمخشري، محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: عبد الرزاق مهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
20. سابق، سيد: **العقائد الإسلامية**، بيروت: دار الكتاب العربي.
21. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
22. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: **بحر العلوم**، بدون معلومات نشر.
23. السيوطي، جلال الدين. **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
24. الشحود، علي بن نايف: **الخلاصة في حياة الأنبياء**، بدون معلومات نشر.
25. الشعراوي، محمد متولي: **تفسير الشعراوي - الخواطر**، القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
26. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد شاکر، ط1، 1420هـ.
27. طنطاوي، محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة: دار نهضة مصر، ط1.
28. عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الحديث، 2001م.
29. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد: **شرح العقيدة الواسطية**، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط6، 1421هـ.
30. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ - 2005م.
31. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م.

32. المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ - 1946م.
33. مصطفى، إبراهيم عبد الرحيم: الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير) جامعة النجاح الوطنية، 2009م.
34. المناوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت: دار الفكر، ط1، 1410هـ.
35. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ.

List of References and Books

1. Abd al-Baqi, Mohammad Fouad: Concordance to the words of the Koran, Cairo: Dar Al-Hadith, 2001.
2. Al shahhod, Ali bin Nayef: Conclusion in the lives of the prophets, without publication of information
3. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (B.T): Sahih Bukhari, Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.
4. Aldamgani, Hussein bin Muhammad: Islah Al wojouh Walnazaer, achieve: Abdul Aziz Syed parents, Beirut: Dar Al Ilm, i 4.1983 m.
5. al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān (20 v. in 10) by al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad Issue Year: 1997
6. Al-Mu'jam al-mufahras li-alfāz al-Qur'ān al-Karīm by 'Abd al-Bāqī, Muḥammad Fu'ād Issue Year: 1945
7. al-Qāmūs al-muḥīṭ by al-Fīrūzābādī, Muḥammad ibn Ya'qūb Issue Year: 2012
8. Alsharawi, Mohamed Metwally: Alsharawi interpretation - thoughts, Cairo: Printing News Today
9. al-Tafsīr al-kabīr aw Mafātīḥ al-ghayb (33 v. in 17) by al-Rāzī, Fakhr al Dīn Muḥammad ibn 'Umar Issue Year: 2013
10. al-Tafsīr al-munīr fī al-'aqīdah wa-al-sharī'ah wa-al-manhaj (32 v. in 16) by al-Zuḥaylī, Wahbah Issue Year: 1991
11. al-Tawqīf 'alā muhimmāt al-ta'ārīf by al-Munāwī, Muḥammad 'Abd al-Ra'ūf Issue Year: 2002
12. Al-Zamakhshari, A. (1407). Al-Kashshaaf 'an Haqa'iq at-Tanzil, 3ed edition, Beirut Dar Alkitab AlArabi
13. Collector statement in the interpretation of the Koran, written by Muhammad ibn Jarir al-Tabari Abu Jaafar (d. 310 AH) achieve Ahmed Mohammed Shaker, Mission Foundation, Edition: First, 1420 - 2,000 m.
14. Furuq al-lughawiyah by Abū Hilāl al-'Askarī, al-Ḥasan ibn 'Abd Allah Issue Year: 2000

15. Ibn Faris, Abu Hussein Ahmed Bin Faris (1997): Al-Sahibi Fi Fiqh, Al-Lugha Wa Sunan Al-Arab Fi Kalamihā, edited by: Ahmed Hassan Bsj, Beirut: Dar al-Kutb Al-Elmayeh.
16. Ibn Kathir, Abu Al-Fidaa Imad Al-Din Ismail bin Omar (B.T): Tafseer Al Quran Al Azeem , Alexandria: Dar Al-Basira.
17. Ibn Manzur, M. (1414H), Lisān al-‘Arab, 3ed edition, Beirut, Dar Sader.
18. Ibn Taymiyyah, Abu Abbas Ahmed bin Abdul-Halim (1995): Total of the Fatwas, Madinah, King Fahd Quran Sharif Printing Compound.
19. Imam Jalal ud Din Suyuti: Al Itqan Fi Uloom Il Quran
20. interpretation Manar, written by Muhammad Rashid Rida, al-Manar in Cairo Press, the first edition of the year 1330 AH.
21. Mustafa, Ibrahim Abdul Rahim: psychological feeling when Prophets in the Qur'an, (Master) An-Najah National University, 2009
22. Nazm al-durar fi tanāsub al-āyāt wa-al-suwar (8 v.) by al-Biqā‘ī, Ibrāhīm ibn ‘Umar .Issue Year: 2011
23. Othaimen, Mohammed bin Saleh bin Mohammed al-Waasitiyyah explaining doctrine, Saudi Arabia: Dar Ibn al, i 6.1421 e.
24. Prophet's biography written by Ibn Hisham Abu Muhammad Ibn Hisham ibn Ayyub Humairi Almaevri Basri (d. 213 AH).
25. Raghīb Isfahani, al-Hu. (1412H). Al-Mufradat fi Gharib al-Quran, Verified by: Safwan Adnan, 1st edition, Beirut, Dar al Kalam.
26. Rūḥ al-bayān fi tafsīr al-Qur’ān (10 v.) by Ismā‘īl Ḥaqqī ibn Muṣṭafá Issue Year: 2003
27. Sābiq, Alsayed: Islamic tenets, Beirut: Dar Al Arab Book>
28. Tafsir al-Maraghi ... by Maraghi, Ahmad Mustafa Issue Year: 1998. Our Price: ... Published/Created: Bayrūt : Dar al-Kutub al-'Ilmiyah, 1998
29. Tafsīr al-Samarqandī al-musammá Baḥr al-'ulūm (3 v.) by al-Samarqandī, Naṣr ibn Muḥammad Issue Year: 2006
30. Tafsīr al-Sha'rāwī (<v. 1-22>) by al-Sha'rāwī, Muḥammad Mutawallī Issue Year: 1991
31. Tafsir al-tahrir wa-al-tanwir (30vols.) by Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir Issue Year: 2000.
32. Tafsir al-wasit (3vols.) by al-Zuḥaylī, Wahbah Issue Year: 2000
33. Taysir al-Karim al-Rahman fi tafsir kalam al-Mannan by Sadi, Abd al-Rahman ibn Nasir Issue Year: 2001

34. Zoheily, Wahba Mustafa: enlightening interpretation of the faith and the law and the curriculum, Damascus: Dar Alfikr Almuaser, 2nd edition, 1418.